العرب
السبت 2019/11/16
السنة 42 العدد 11530

جورج أورويل يدين الدكتاتورية ويقدس نبتة الصبار

شاعر يكتشف سر وضع نباتات الصبار في النوافذ والشرفات

وصفت صحيفة التايمز البريطانية جورج أورويل بأنه ثاني أحسن الروائيين البريطانيين من بين خمسين روائيا منذ عام (1945)، حيث يُنسب إليه إدخال الكثير من المفردات للثقافة الغربية مثل: الأخ الأكبر، شرطة الفكر، التفكير المزدوج، وجريمة الفكر، وذلك لوصف سياسات القمع في النظم الشمولية. ورغم مرور عقود على رحيله يبقى أورويل من أكثر الروائيين تأثيرا.

حازم خالد

القاهرة - رغم أن جورج أورويل (1903 – 1950) اشتهر بكتابته للرواية، فإنه كتب أيضا المقال والنقد والصحافة الجدلية. وتميزت أعماله علاوة على الفصاحة والبلاغة، بوعي عميق بالظلم الاجتماعي، كما تميزت بالعداء الشديد للدكتاتورية والنظم الشمولية، ومناصرة الاشتراكية الديمقراطية. يلاحظ القارئ كيف اصطبغت كتاباته القصصية وغير القصصية بإيمانه المستمر بآداب السلوك التي تميز المجتمع الإنكليزي. وفضلا عن ذلك ذكّرت أعماله الشعوب بقدرتهم الهائلة على مواجهة محاولات فرض السيطرة من قبل السلطة والمهيمنين عليها.

نقد مجتمعي

يعد أورويل من أهم الروائيين البريطانيين المؤثرين في القرن العشرين. كما أنه يعد من المؤرخين لهذه الحقبة، ويظهر عامل السيرة الذاتية جليا في رواياته، وفي أحداث معظم قصصه، حيث يرى النقاد أن أبرز أعماله هي رواية "مزرعة حيوانات" (1945)، ورواية "ألف وتسعمئة وأربعة وثمانون" (1949). أما كتابه "الطريق إلى ويجان بيير" (1937) وهو من أعماله غير القصصية فهو يوثق حياة الطبقة العاملة في شمال بريطانيا. وبالنسبة لكتابه "تقديرا لكاتالونيا" (1938)، الذي يسرد فيه تجربته في الحرب الأهلية الإسبانية فهو من أكثر أعماله تميزا، وكذلك مقالاته في الأدب والسياسة واللغة والثقافة.

تعتبر رواية "تحيا نبتة الصبار" من الروايات الناقدة للمجتمع الإنكليزي بقسوة وخاصة في ثلاثينات القرن العشرين، ذلك المجتمع الذي كان يبجل مظاهر الترف والرفاهية الفارغة، كما كانت تسيطر على المجتمع أنماط الإنفاق غير المُرشد والتباهي والتفاخر بين الطبقات المختلفة التي كان التفاوت بينها واضحا، فقد ظهرت فطنته وبراعته الأدبية في اختيار النموذج الاجتماعي المناسب الذي يمكنه أن يجسد رؤيته للطبقة الوسطى ومشكلاتها.

تدور أحداث الرواية حول جوردون كامستوك الذي يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاما، ورغم مستواه التعليمي وثقافته، وبالرغم من انتمائه إلى الطبقة الوسطى، فإنه يقرر هجر وظيفته "الجيدة" التي كان يعمل بها ليتفرغ للكتابة والشعر.

كان جوردون يعمل بوكالة إعلانات قبل بداية أحداث الرواية، لكنه يرى أن الإعلانات التجارية قائمة على مبدأ الاحتيال. كما يرى أن الحضارة البريطانية الممتدة بجذورها في شتى أنحاء العالم قائمة أيضا على مبدأ الاحتيال لاعتمادها على الرأسمالية والاستعمار. كان دخل جوردون في وظيفة بائع الكتب أقل بكثير من وظيفته السابقة، حيث كان يعمل بائعا في أحد متاجر بيع الكتب بلندن، وكان كل ما يتقاضاه هو جنيهان في الأسبوع، لكنه على عكس كل أبناء جيله كان يفضل تلك الوظيفة عن وظيفته السابقة، بالرغم من تميزه في مجال كتابة الإعلانات التجارية كما شهد له الجميع بذلك في ما سبق.

إنه يرى نفسه شاعرا واعدا بالرغم من عدم نشر أي قصائد له سوى ديوان واحد فقط يسمى الفئران، وبالرغم من عدم رواجه، فإنه يرى أن النقد الذي كُتب في ديوانه في بعض الصحف في ذلك الوقت كان كافيا لإرضائه، كان جوردون يريد أن يعيش وفقا لمبادئه وألا يخونها مهما كلفه ذلك. إنه يعتقد أن الحياة التي يعيشها أقرانه تطغى عليها المادية الشديدة مما يسحق أرواحهم ووجدانهم. لكنه أبدا لم يجد السعادة والهناء عندما ترك القيم التي يحيا بها الآخرون، عندما بدأ يعيش في نُزل كريهة مع سيدة متطفلة كثيرة التدخل في شؤون نزلائها، كان جوردون كثيرا ما يشعر بالضيق في تلك الحياة. وحاول أن يستكمل ديوانا آخر قد بدأه وأسماه ملذات لندن إلا أنه لم يكتمل أبدا.

كره الصبار

ظن بطل الرواية أن الناس أصبحوا يتحاشونه بسبب فقره. اعتقد أن صديقه رافلستون وحبيبته روزماري يحتقرانه لنفس السبب. أراد أن يقضي يوما هو وحبيبته في الريف ليستمتعا معا، لكن فقره ورثاثته سببت له عدة مشكلات وأوقعته في حرج بالغ. كان لتلك الحادثة مع الكثير من الأحداث التي تلتها أثر عميق في تغيير نمط تفكير جوردون، بعد ذلك بفترة ليست كبيرة حصل على بعض المال من قصيدة نشرها في إحدى المجلات الأميركية، فقرر أن يدعو صديقه وحبيبته إلى العشاء في أحد المطاعم الفاخرة، لكن إسرافه في الشراب جعله يفقد أعصابه ويتصرف كالأحمق. أدى به الإفراط في السكر إلى قضاء الليلة في زنزانة شرطية لوقوع مشادة بينه وبين الشاويش.

> شاب ينتمي إلى الطبقة الوسطى يقرر هجر وظيفته «الجيدة» التي كان يمارسها ليتفرغ للكتابة والشعر

كان جوردون يرى نفسه شاعرا يقطن العلية ويتضور جوعا، لكنه أفضل من أقرانه الذين يقدسون المال إلى درجة تصل إلى العبادة. لكنه بدلا من أن يطور موهبته، أصبح ينظر إلى أشعاره على أنها أقزام ميتة، أو كأطفال مجهضة في الحضانات. كانت الصبارة بالنسبة إليه رمزا للطبقة الوسطى بأفكارهم البرجوازية الرتيبة، حيث كان أفراد تلك الطبقة يتباهون بوضع نباتات الصبار في النوافذ والشرفات، لكنه في بعض سطور الرواية يراها رمزا أكبر يمثل المجتمع الإنكليزي بأكمله، حيث يؤكد أنه يمكن وضعها على العلم الإنكليزي نفسه. الجدير بالذكر أن كتاب "تحيا نبتة الصبار"، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وقام بالترجمة الدكتور عزة إبراهيم خليل، ومراجعة الدكتور محمد عناني.

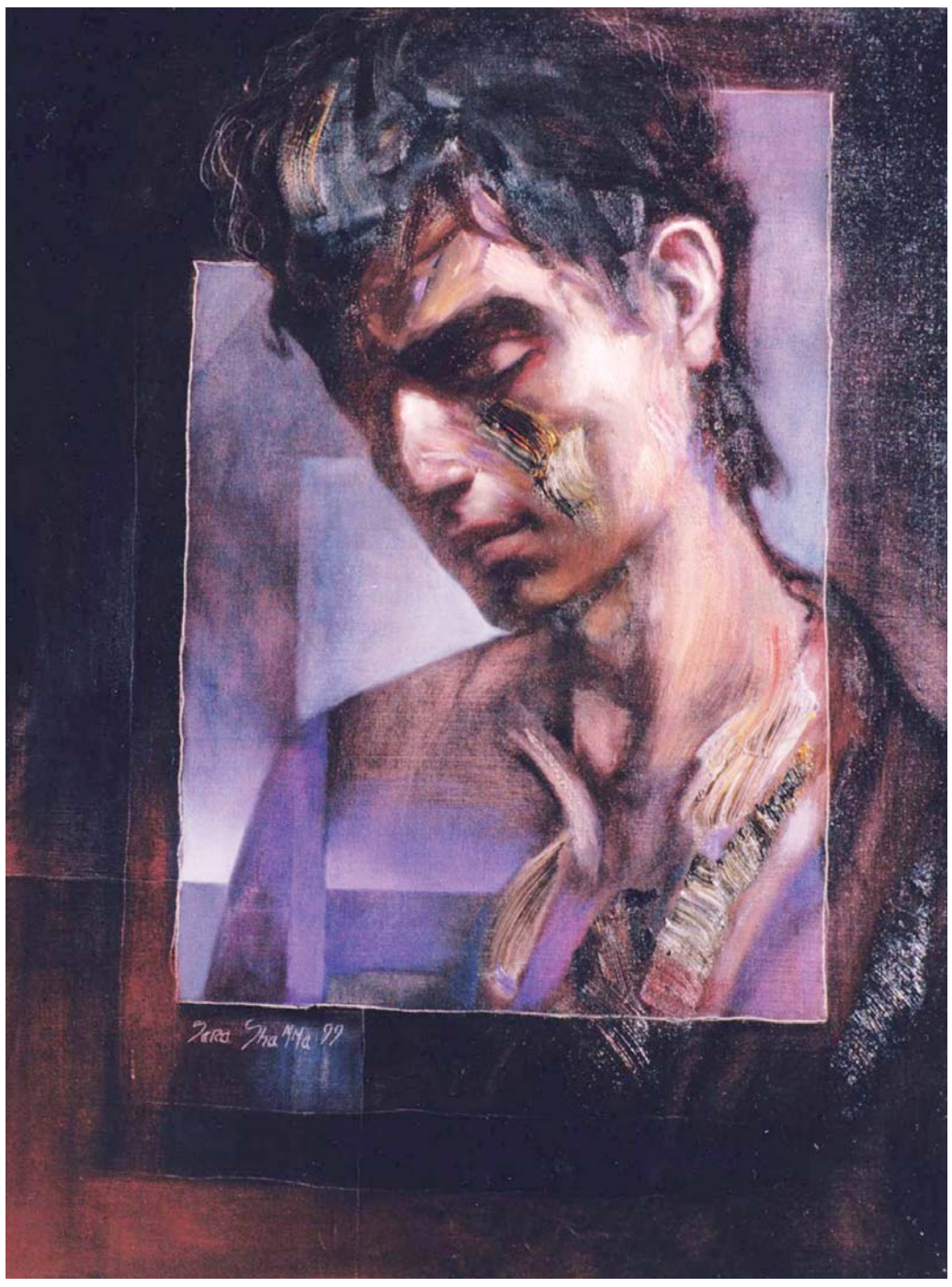

ليس سهلا أن تكون شاعرا (لوحة للفنانة سارة شمة)

الثقافات تنشأ في محيط تعددي منفتح

حميد سعيد
كاتب عراقي

في كل عصر وفي جميع الحضارات الإنسانية، ظلت العلاقة بين القديم والجديد والمفاضلة بينهما، حاضرة، ولطالما كانت تؤدي إلى الاختلاف وبخاصة في جانب تبادل التأثير بينهما في الواقع، وإن التحولات التاريخية هي من نتائج الحوار بينهما، وإذا كان انتصار الجديد حتمية تاريخية، وهذا ما أدركه الإنسان عبر مسيرته منذ أن كان إلى يومنا هذا، فإن مثل هذا الانتصار ليس إلغاء للماضي بقدر ما هو تمثل له ومحاولة وضعه في سياق تسلسل تاريخي.

لكن ممثلي التحولات الجديدة غالبا ما يرون في ما أنجز من قبل قليل الأهمية ولا يستحق التمثل أو الاحترام، ولو تأملنا بعمق في المعنى الذي أشار إليه الرسول العربي محمد بن عبدالله في قوله: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، لأدركنا ما كان يرى من علاقة إيجابية بين القديم والجديد، وإن شاعرا مفكرا عميق الثقافة مثل أبي العلاء المعري، وقد عُدَّ من ممثلي النزعات التجديدية في عصره، كان يفصح عن تقدير من سبقه من الأوائل، حسب تعبيره حين يقول:

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

ورغم نزعة الفخر الفردية في هذا البيت الشعري، فإنه يفصح عن احترام الماضي وأهله وإن ما أتى به من أفكار ورؤى ليس سوى إضافة إلى إنجازات الماضي الفكرية، إن أجمل ما قرأت عن علاقة القديم بالجديد، قول أندريه جيد "أقول لكل دقيقة تمر، ما أجملك توقفي" ففي قول جيد، يكون الحاضر ماضيا، والدقيقة في الماضي والراهن تتسم بالجمال، أو هكذا رآها، ويشير الدكتور فؤاد زكريا في معرض حديثه عن الموسيقى إلى هذه الفكرة بقوله "إن الذين نعدهم في عصرنا كلاسيكيين، كان بعضهم قد عُدَّ غير مفهوم في عصره، فقد اتهم بتهوفن بالغموض والتعقيد، ولقي فاغنر الكثير من السخرية".

وفي ضوء ما تقدم ينبغي أن ننظر إلى ما هو جديد في الفكر والإبداع، فهو ليس نبتة شيطانية، ولا يمكن أن يكون بلا جذور أو مقطوع الصلة بالماضي وقديمه.

لقد رافقت ظاهرة تبادل التأثير معظم الثقافات الإنسانية، فليس من ثقافة ناضجة وحيوية إلا ونشأت في محيط معرفي تعددي، مُستقبِل ومنفتح، حيث الحوار المتكافئ هو البوتقة والفعل في آن واحد لتحقيق تبادل التأثير.

قال أبوسعيد السيرافي وهو من أبرز مثقفي القرن الرابع الهجري الذي شهد نضج الثقافة العربية الإسلامية "إن عِلم العالم مبثوث بين جميع مَنْ في العالَم" فهو لا يستثني من العِلم مكانا أو زمانا أو إنسانا وينسب أبوحيان التوحيدي إلى أحد فلاسفة اليونان قوله "المعرفة تتحقق في التقلب في الأمصار، والتوسط في المجامع، واستماع فنون الأقوال".

إن الأحادية الثقافية لم تكن في أي مرحلة من المراحل التاريخية بضاعة عربية، بل هي من مخلفات المركزية الغربية التي ما زالت تعتم على تأثير الحضارات القديمة على الحضارة الإغريقية وتتجاهل وثائق هذا التأثير، بعد اكتشافها وترجمتها ونشرها.

أما الحواضر العربية الإسلامية، دمشق وبغداد والمدن الأندلسية فقد كان الانفتاح على معارف الآخرين والسعي إليها، من صفاتها المعروفة، فبغداد مثلا لم تكن حاضنة للحضارة الإسلامية بكل جلالها وازدهارها فحسب، بل كانت أيضا كما تقول الدكتورة سهير القلماوي: بوتقة فعلية، صهرت الكثير من ألوان الحياة الإنسانية، كما صهرت الكثير من الثقافة الإسلامية بكل ما زخرت به من نتاج قرائح عصور طويلة بأسرها.

لقد احتضنت بغداد ثقافات أمم أخرى، واستكنت في رحمها المخصب المفعم بالحياة فولدت حضارة جديدة، نشرتها على المغرب والمشرق بأسرع ما يمكن أن تنشر وتثمر الثقافات.

ولم تكن الحاضنة الثقافية العربية في معاهدها وفي ما تنتج من فكر وأدب مستنكفة عن إعلان تأثرها بالآخرين، فبيت الحكمة ببغداد كان ميدانا حيويا لمواصلة التعرف على ثقافات الآخرين، وترجمة مصادر المعرفة من عدد من اللغات وكان كبار الكتاب يحددون ما يهمهم من المصادر لترجمتها، وكان الجاحظ يأتي من البصرة إلى بغداد فيتفق مع مترجمي بيت الحكمة لترجمة هذا المقال أو ذاك.

أما الثقافة العربية الأندلسية فقد اتسمت بتعدد مصادرها وبقدرتها على تمثل تلك المصادر.

وحين أقدمت ماري تريز عبدالمسيح على قراءة "طوق الحمامة في الألفة والآلاف" لابن حزم، على أنه حاصل تكامل حضارة الشرق والغرب وهو نموذج لتعددية الحضارة الأندلسية التي مزجت الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية في منطقة متشبعة بالحضارتين اليونانية والرومانية.

وهكذا فليس من حضارة عذراء، غير أن المؤثر الأندلسي الذي نشأ في شبه الجزيرة الإيبرية، ثم امتد إلى أوروبا وأميركا اللاتينية ، ما زال حاضرا بهذا القدر أو ذاك.

الجديد لا ينفي القديم (رحاب العتيبي)

سيرة مسدس ملعون

ميلانو (إيطاليا) – صدرت حديثا عن منشورات المتوسط بإيطاليا، رواية جديدة للكاتب التونسي كمال الرياحي، بعنوان "البيريتا يكسب دائما"، والرواية كما يكشف عنوانها، هي سيرة مسدس مشبوه يتنقل بين المهربين ورجال الشرطة والمخبرين واللصوص والعشيقات والإعلاميين والكتاب. مسدس ملعون ملطخ بكل تاريخ القتل والتصفيات السياسية والعاطفية، يجوب الجيوب يبحث عن واحد فقط يجرؤ على الانتحار، في بلد طار سقفه وسقطت المشانق على الثوار والحائرين.

كاتب تونسي يحقق بمخبئه في قضية انتحار كاتب أميركي بكاليفورنيا وحشاش فلسطيني يجوب الأرض على دراجة يبحث عن أم مستعملة بين واشنطن ودبي وعمان والقاهرة والسويد. وبيريتا شبق يظهر ويختفي وحوله تُرفع جثث الكلاب والخنازير والعجائز والأطفال والنساء. أما "على كُلاب" مُرعب الشوارع الخلفية وتاريخ التعذيب فيجلس في بدلته البيضاء بجانب صيده استعدادا لالتقاط صورة جديدة؛ كلها شخصيات تلتقي في الرواية لتصنع عالما غريبا ومتداخلا، عالما يبحثون فيه عن أرواحهم الطائرة، بينما النظام القديم يستعيد نفسه بمُخبريه وضُبَّاطه وضحاياه.

نص كمال الرياحي، والذي جاء في 240 صفحة، القطع الوسط؛ يمكن وصفه بأنه "نص شرير" عن الفوضى والغضب، عن العنف والفشل، عن الحب والشر، عن الرصاص والجنس والثورة، وعن الأدب. وربما عن حياة سائبة؛ هذه التي يطاردها البيريتا.

> الأبطال شخصيات غريبة تبحث عن أرواحها الطائرة، بينما النظام القديم الحاكم يستعيد نفسه بمُخبريه وضُبَّاطه وضحاياه

ونذكر أن كمال رياحي روائي تونسي، مواليد 1974، يعمل في المجال الثقافي الإذاعي والتلفزي والكتابي. صدرت له إلى الآن أربع روايات إلى جانب مجموعتين قصصيتين ومؤلفات حوارية وأخرى بحثية في مجال السرد العربي والأجنبي.

حصدت أعماله الأدبية جوائز عديدة منها جائزة الكومار الذهبي عن رواية "المشرط"، وجائزة ابن بطوطة لأدب اليوميات عن كتابه "واحد صفر للقتيل"، وجائزة القصة القصيرة بالقاهرة، وجائزة هاي فيستفال، بيروت 39، إلى جانب اختياره ضمن أفضل خمسة كتاب دون سن الأربعين في دورتين لجائزة (البوكر) عام 2010. وتُرجمت أعماله أو أجزاء منها إلى الفرنسية والإيطالية والإنكليزية والبرتغالية والسويدية والإسبانية والعبرية والبولونية والفارسية.